

روح المعاني

وقع صفة لهم أي هذا إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر السابق وإن كان خاصاً بالمؤمنين على المختار لكن العمل بموجبه غير مختص بهم ففيه حمل للمكذبين أيضاً على أن ينظروا في عاقبة أسلافهم ليعتبروا بذلك والموعظة ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه طاعة والهدى بيان طريق الرشد ليسلك دون طريق الغي والفرق بينه وبين البيان أن الثاني إظهار المعنى كأننا ما كان ولكون المراد به هنا ما كان عارياً عن الهدى والعظة خصه بالناس مع أن ظاهره شامل للمتقين .

والمراد بهم مقابل المكذبين وكأنه وضع موضع الضمير بناءً على أن المعنى وزيادة بصيرة وموعظة لكم للإيدان بعلّة الحكم فإن مدار ذلك كونه هدى وموعظة لهم إنما هو تقواهم وعدم تكذيبهم وقدم بيان كونه بياناً للمكذبين مع أنه غير مسوق له على بيان كونه هدى للمتقين مع أنه المقصود بالسياق لأن أول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك أسلافهم ظهور حال أخلافهم وأما الهدى فأمر مترتب عليه والإقتصار على الأمرين في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما أنهما المقصد الأصلي وقيل : أل في الناس للجنس .

والمراد بيان لجميع الناس لكن المنتفع به المتقون لأنهم يهتدون به وينتجعون بوعظ هوليس بالبعيد وجوز بعضهم أن يراد من المتقين الصائرون إلى التقوى فيبقى الهدى والموعظة بلا زيادة وإن يراد بهم ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل فيحتاج الهدى وما عطف عليه إلى إعتبار ما يعم الإبتداء والزيادة فيه ولا يخفى ما في الثاني من زيادة البعد لإرتكاب خلاف الظاهر في موضعين وأما الأول ففيه بعد من جهة الإرتكاب في موضع واحد وهو وإن شارك ما قلناه من هذه الحيثية إلا أن ما أرتكبناه يهدي إليه في الجملة التنوين الذي في الكلمة ولا كذلك ما أرتكبه بل إعتبار الكمال المشعر به الإطلاق ربما يأباه ولعله لمجموع الأمرين هان أمر نزع الخف .

ولا تهنوا ولا تحزنوا أخرج الواحدي عن ابن عباس أنه قال : إنهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبينما هم كذلك إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدون أن يعلوا عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفرة فأنزل الله تعالى هذه الآية وثاب نفر من المسلمين فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعن الزهري وقتادة أنها نزلت تسلياً للمسلمين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح .

وعن الكلبي أنها نزلت بعد يوم أحد حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي

اﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻨﻬﻢ ﺑﻄﻠﺐ ﺍﻟﻘﻮﻡ ﻭﻗﺪ ﺍﺻﺎﺑﻬﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﺠﺮﺍﺡ ﻣﺎ ﺍﺻﺎﺑﻬﻢ ﻭﻗﺎﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ : ﻻ ﻳﺨﺮﺝ ﺇﻻ ﻣﻦ ﺷﻬﺪ ﻣﻌﻨﺎ ﺑﺎﻻﻣﺲ ﻓﺄﺷﺘﺪ ﺫﻟﻚ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻓﺄﻧﺰﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﻭﺍﻳﺎ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻓﻬﻲ ﻣﻌﻄﻮﻓﻪ ﻋﻠﻰ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : ﺳﻴﺮﻭﺍ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺭﻅ ﺑﺤﺲﺐ ﺍﻟﻠﻔﺰ ﻭﻣﺮﺗﺒﻄﻪ ﺑﻪ ﺑﺤﺲﺐ ﺍﻟﻤﻌﻨﻰ ﺇﻥ ﻗﻠﻨﺎ ﺇﻧﻪ ﻋﻮﺩ ﺍﻟﺘﻔﺼﻴﻞ ﻭﺑﻤﺎ ﺗﻘﺪﻡ ﻣﻦ ﻗﺼﻪ ﺍﺣﺪﻯ ﻟﻢ ﻧﻘﻞ ﺫﻟﻜﻮﺑﻪ ﻗﺎﻝ ﺟﻤﻊ ﻭﺟﻌﻠﻮﺍ ﺗﻮﺳﻴﻂ ﺣﺪﻳﺚ ﺍﻟﺮﺑﺎ ﺇﺳﺘﻄﺮﺍﺩﺍ ﺃﻭ ﺇﺷﺎﺭﻩ ﺇﻟﻰ ﻧﻮﻉ ﺁﺧﺮ ﻣﻦ ﻋﺪﺍﻭﻩ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﻭﻣﺤﺎﺭﺑﻪ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻭﺑﻪ ﻳﻄﻬﺮ ﺍﻟﺮﺑﻂ ﻭﻗﺪ ﻣﺮ ﺗﻮﺟﻴﻬﻪ ﺑﻐﻴﺮ ﺫﻟﻚ ﺃﻳﻀﺎ .

ﻭﻣﻦ ﺍﻧﻨﺎﺱ ﻣﻦ ﺟﻌﻞ ﺇﺭﺗﺒﺎﻁ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﻟﻔﻀﺎ ﺑﻤﺤﺬﻭﻑ ﺃﻱ ﻛﻮﻧﻮﺍ ﻣﺠﺪﻳﻦ ﻭﻻ ﺗﻬﻨﻮﺍ ﻭﻣﻀﻰ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺨﻼﻑ ﻭﻫﻮ ﺗﻜﻠﻒ ﻣﺴﺘﻐﻨﻰ ﻋﻨﻪ ﻭﺍﻟﻮﻫﻨﺎﻟﻀﻌﻒ ﺃﻱ ﻻ ﺗﻀﻌﻔﻮﺍ ﻋﻦ ﻗﺘﺎﻝ ﺃﻋﺪﺍﺋﻜﻢ ﻭﺍﻟﺠﻬﺎﺩ ﻓﻲ ﺳﺒﻴﻞ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﻤﺎ ﻧﺎﻟﻜﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﺠﺮﺍﺡ ﻭﻻ ﺗﺤﺰﻧﻮﺍ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﺍﺻﺒﺘﻢ ﺑﻪ ﻣﻦ ﻗﺘﻞ ﺍﻟﺄﻋﺰﻩ ﻭﻗﺪ ﻗﺘﻞ ﻓﻲ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﻐﺰﻭﻩ ﺧﻤﺴﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻬﺎﺟﺮﻳﻦ ﺣﻤﺰﻩ ﺑﻦ ﻋﺒﺪﺍﻟﻤﻄﻠﺐ ﻭﻣﺼﻌﺐ ﻋﻦ ﺑﻦ ﻋﻤﻴﺮ ﺻﺎﺣﺐ ﺭﺍﻳﻪ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻭﻋﺒﺪﺍﻟﻠﻪ ﺑﻦ ﺟﺤﺶ